الماريانو في الصحراء الغربية خلال عصر الرعامسة

محمد رأفت عباس

دأبت النصوص الحربية المصرية خلال عصر الدولة الحديثة على ذكر الماريانو كأعداء للجيش المصري. وكان الحديث عن وقوعهم كأسرى فى أيدي المصريين يُعد نوعًا من التباهي والتفاخر بتكبيد أعداء مصر من الآسيويين خسائر فادحة بسقوط أمراء العدو وقادته وأبرز محاربيه في أيدي المصريين في القتال، خلال تلك الحقبة التي شهدت قمة التوسع العسكري المصري في منطقة الشرق الأدنى القديم. وقد تجلى ذلك بوضوح في نصوص الأسرة الثامنة عشرة من خلال حوليات الملك تحوتمس الثالث أشهر ملوك مصر المحاربين في حديثه عن حملته الحربية الأولى الشهيرة في مجدو، وكذلك من خلال النصوص المتعلقة بحملات خليفته الملك المحارب أمنحتب الثاني. ولقد أجمعت آراء المؤرخين والباحثين على أن الماريانو هم طبقة من المحاربين الذين تخصصوا وبرعوا فى القتال بواسطة العربات الحربية، والذين كونوا طبقة من النبلاء في المدن الكنعانية خلال العصر البرونزي المتأخر أي في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. وتشير غالبية الآراء التاريخية إلى أنهم كانوا ينحدرون من أصول هندو أوروبية.

ويناقش هذا البحث قضية تاريخية هامة تتعلق بظهور الماريانو كأعداء لمصر فى الصحراء الغربية خلال عصر الرعامسة، وعلى وجه التحديد خلال أحداث الحرب الليبية في العام الخامس من حكم الملك مرنبتاح (حوالي 1207 ق.م) رابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة، والتي واجهت مصر فيها هجومًا خطيرًا من الليبيين وشعوب البحر من ناحية الصحراء الغربية، وذلك من خلال أحد المصادر التاريخية الهامة المتعلقة بحروب الملك مرنبتاح ضد الليبيين وشعوب البحر، وهي بردية أنستاسي الثانية؛ حيث ذكر الماريانو من ضمن أعداء مصر الذين اشتركوا في هذه الحرب. لكن الأمر المثير للاهتمام والتساؤل هذه المرة هو تواجدهم كأعداء لمصر في الصحراء الغربية للمرة الأولى والأخيرة في تاريخهم، وليس في مناطق سوريا وفلسطين كما اعتادت المصادر المصرية الحديث عنهم دائمًا طوال عصر الدولة الحديثة. ومن ثم فالبحث يناقش من خلال الأدلة النصية المتمثلة في بردية أنستاسي الثانية ومن خلال الآراء التاريخية المختلفة كيفية ظهور الماريانو كأعداء لمصر في الصحراء الغربية خلال عصر الرعامسة للمرة الأولى والأخيرة في تاريخهم.